كلام للقراء عن موضوع رنان

﴿ بضع رسائل ﴾

لما نشرنا ترجمة بوذه في السنة الماضية قلنا اننا سننشر تراجم اصحاب الشرائع اليهودية والمسيحية والاسلامية كما يكتبها العلماء وكما يكتبها المتكلمون اي علماء الدين. ولم يكن الغرض من ذلك ذكر التراجم ذكرًا دينيًا وانما كان الغرض ذكر تلك الحوادث العظيمة الماضية باسهاب يُطلع القراء على حالة الوَسط التاريخي الذي كان في ايام اصحاب هذه الشرائع لان تلك الحوادث هي اعظم الحوادث البشرية التي غيرت وجه العالم ومن الواجب الاطلاع عليها . وقد لخصنا في الاجزاء الاخيرة وفي هذا الجزء كلامًا للفيلسوف رنان عن تاريخ السيد المسيح وكنا نؤمل ان يكون له من الجهة التاريخية وقع عظيم لدى القراء لما فيه من الوصف التاريخي الذي جردناه عن كل ما يخدش الاذهان. فيظهر من الرسائل التي تراكمت علينا ان املنا كان في محله بل انه تجاوز محله وقد ارتاح جميع القراء الى المباحث التاريخية اللطيفة التي وردت في هذا السياق

على ان الرسائل قد تكاثرت علينا الى حد يوجب علينا الاشارة اليها ونشر شيء منها. فنبدأ بالرسالة التالية

كتب الينا صديق من سوريا يقول:

« لما رأيتُ عنوان كتاب رنان في الجزء الثاني من الجامعة قلت سقيًا لكِ يامصر ام الحرية التي صارت اقوال رنان تُترجَم فيكِ . ثم سررتُ بان الجامعة عملت عملاً يدلُّ على استقلالها وعدم خوفها في ما تنشره لومة لائم. ولكن بقدر سروري حين وقوع نظري على عنوان الكتاب كان استيائي حين قراءتي مقالات رنان في الجزء الاول والثاني والثالث. فانني كنتُ كلما اقرأ لا اشتم شيئًا كثيرًا من رائحة رنان بل كنت ارى ان الجامعة تصرفت بالكتاب الذي « قطع رنان عمره في كتابته » تصرفًا اخرجه عن موضوعه الاصلي. ولو عاد رنان الآن من قبره الازلي لانكر هذا التلخيص الذي شوّه فكره ولما عرف كتابه. فكيف تستجيز مجلة كالجامعة هذا التصرف. وهل تطيق ان ياخذ احد احدى مقالاتها ويقلبها الى غير الغرض المقصود بها بحذفه كل ما لا يريده منها

« ومما اضحكني ان احد المعارف بعد مطالعته جميع مقالات رنان في الجامعة جاءني

وقال : حقًا ان الاكليروس في اوربا على غاية من التعصب . فسألته ولماذا . فاجاب انني قرأت تاريخ رنان في الجامعة فلم اجد فيه شيئًا يستحق الاضطهاد الذي لقيه منهم مؤلفه. فضحكتُ حينئذ واجبته : ليس الذي قرأته في الجامعة تاريخ رنان ولكنه تلخيص رنان فاذا شئتَ رنان الحقيقي فاقرأه في كتابه المطول تعلم مقدار التصرف الذي تصرفت به الجامعة لتهوّن على الناس قراءته . وحينئذ مثلتُ له الجامعة واقفة بازاء رنان « تشمط » اذنه من هنا وتدفعه من هناك وتقطع من ثوبه من هنالك ثم لم اتمالك ان قلتُ ضاحكاً ان رنان اذا التقى بحضرة منشىء الجامعة في اليوم الاخير فانه يناقشه الحساب على ذلك

« والخلاصة انني آسف لان الجامعة لم تنقل هذا الكتاب كما كتبه مؤلفه لاننا نعتبر انها تحرص على مبادىء الحرية وصدق النقل في ما تنشره حرصاً ما وراءه حرص . وعندي انه خير للجامعة ان لا تنقل هذا الكتاب من ان تنقله وتحذف منه ما تظن حذفه واجبًا الخ . . . »

وكتب الينا احد القراء الافاضل من اميركا يقول :

« ان القراء ينتظرون وصول الجامعة كما ينتظر الظمآن الماء لمتابعة مقالات رنان وغيرها من مباحث الجامعة الجامعة . ويسرني ان اخبر جنابكم ان تلك المقالات قد حازت رضى العموم مهما كانت اعتقاداتهم لانهم يقرأونها كما يقرأون تاريخًا لا كما يقرأون بحثًا دينيًا فاذا وجدوا فيها شيئًا غير منطبق على اعتقادهم اغضوا عنه وتركوه والتفتوا الى المسائل التاريخية التي صرف رنان عمره كما قلتم في البحث فيها . ومما يساعدهم على هذا الاعتدال في الاميال والافكار هواء الحرية هنا الذي ينعش الصدور ويجلو الجهل عن العقول ويعلم ان البشر انهم اخوان ومن طبيعتهم الاختلاف في الاراء والمذاهب فيجب ان يحملوا بعضهم بعضاً كما يقول المثل والا كان العالم كله عبارة عن ساحة حرب ونزال فنرجوكم ان تكثروا من هذه المباحث وحبذا لو ملأت كل مقالة من تلك المقالات في كل جزء نصف صفحات المجلة »

اما كاتب الرسالة الثالية فهو من اصدقاء الجامعة ولكنه يصرخ كانه ينفخ في بوق

« سلام في سلام . . اما بعد فالآن قد وُضعت الفاس على اصل الشجرة فكل شجرة لا تُعطي ثمرًا تُقطع وتُلقى في النار . فنرجو منكم ان تكملوا هذه المباحث ولا تنصرفوا بها كما ذكرتم في ترجمة مؤلفها . وانما نطلب ذلك بنوع خصوصي لنقرأ ما قاله فيها رنان عن

الكهنة اليهود فانه قد بلغني ان رنان وصفهم وصفاً ينطبق عليهم وعلى اكثر كهنتنا لتشابه الحالتين . فلا تلطفوا اللهجة هناك اذ ليس فيها ما يمس المذاهب قطعياً بل انها نافعة للشعب لانها تنبهه الى مصالحه الحقيقية وهي مراقبة اعمال رؤسائه وطلبه الاشتراك معهم في ادارة شؤون الطوائف والعمل لمنفعتها لا لمصلحته . فالآن قد وُضعت الفاس على اصل الشجرة فدعوا رنان يضرب ولا تخففوا ضرباته »

وكتب صديق قريب من الجامعة جداً يقول « قد يستاء بعض البسطاء والجهلاء من مقالات رنان لانهم لا يفهمونها فهم معذورون واذا فهموها اوّلوها الى غير المقصود منها. اما انا فلو سُئلتُ عن رايي الشخصي في هذا الموضوع لاجبتُ اني قرات الصيف الماضي كتاب « تاريخ المسيح » لرنان وارى ان هذا الفيلسوف مع ما يتهمونه به من انكاره المسيحية لهو في الحقيقة كما يقول عن نفسه « الماشي على خطوات المسيح » وليس غريباً ان يُضطهد الرجل لتصريحه بحقائق يثقل سمعها لاول مرة فالمسيح قبله صلبوه لانه قال ما يقوله الآن رنان من وجوب عبادة الله بالروح والحق لا بغير ذلك من الامور التي لا يُفقه لها معنى »

هذا ما اكتفينا به من الرسائل العديدة التي وردتنا بهذا الشان . وعليها نردّ بقولنا — ان صاحب الرسالة الاولى اخطاء بقوله اننا تصرفنا بكتاب رنان تصرفاً غيّر وضعه فاننا لم نتصرف بكتاب رنان ولكننا « حذفنا منه كل ما لا يجب ذكره احتراماً للمعتقدات » كما قلنا في ترجمة رنان في الجزء الثاني (الصفحة ٧٩ السطر الاخير) وذلك لان « غرضنا علمي تاريخي محض واما المساله الدينية الكبرى فلا دخل لها هنا » وهكذا قلنا في الصفحة ٨٠ ايضاً . وانما حذفنا ذلك لسببين الاول ان رنان تطرف في بعض الاقوال تطرفاً لم يبنه الا على الظن والتخمين وقد اشار الى ذلك في مقدمة كتابه . فما الفائدة من التعب في نقل الظن والتخمين . والسبب الثاني ان عدد صفحات الكتاب ٥٥٢ صفحة فلو نقلناها كلها لملأت اجزاء كثيرة من الجامعة . اما قول المراسل انه يجوز لرنان ان يناقش الجامعة الحساب على هذا التصرف فنرده بكلمة واحدة وهي ان رنان نفسه قد راى في حياته وجوب تلخيص كتابه وحذف كل ما يخدش اذهان المؤمنين منه فلخصه في كتيب صغير يقراه المسيحي وغير المسيحي بسرور وهو يباع للشعب الفرنسوي بفرنك مع ان ثمن كتابه الكبير سبعة فرنكات ونصف . فهل تُلام الجامعة اذا صنعت ما صنعه رنان نفسه

وآخر ما نقوله بهذا الشان اعادة ما ذكرناه قبلاً وهو اننا لا نقصد بنشر هذا الكتاب

الا المواضيع التاريخية والاجتماعية منه . ونحترم ما بقي احتراماً يوجب علينا عدم الدخول فيه كما قال ديكارت لاننا ابعد الناس من البحث في القضايا الدينية ولاسيما في زمن كهذا الزمن . وقد قال لنا كثيرون من القراء انهم بحثوا كثيراً منذ سنوات ليقفوا على وصف الاماكن المقدسة يوم ظهور السيد المسيح وكيف كانت حالة بني اسرائيل يومئذٍ وعلاقتهم بالرومانيين وذكر المبادىء التي كانت تحتاج في نفوسهم ووصف مجامعهم وروسائهم وعلمائهم فلم يجدوا ذلك الا في هذه المقالات . نقول وهذا غرضنا من نشرها

اما صاحب الرسالة الثالثة الذي هو صاحب الفاس فاننا لا نقبل رايه وفاسه الا من جهة واحدة . ذلك لانه اذا كان في طبقة روساء الاديان في كل ملة ودين قوم يصح فيهم ما قالة رنان عن الفريسيين ففيهم ايضاً قوم افاضل بسطاء الاخلاق قد نبذوا الكبرياء والطمع في المال ونذروا الفقر والتواضع ووقفوا انفسهم لخدمة شعبهم وبني جنسهم . فالعدل يقتضي الثناء على هؤلاء حين ذم اولئك لئلا يؤخذ الصالحون بجريرة الاردياء وان كان الاردياء يتسلطون في اكثر الاحيان على الصالحين ويكون القول قولهم والفعل فعلهم . ولا ريب عندنا ان الفئة الصالحة من روساء الدين يفيدها ان تطلع على ما يقوله العلماء عن الامور الدينية لتاخذ من اقوالهم فوق ما تاخذه من مصادرها اليومية قوة تعصمها عن الوقوع في ما وقعت به الفئة الرديئة وتذكرها الحادث العظيم الذي ضحيت فيه منذ ١٩ قرناً اثمن فدية في هيكل التعصب والجهل والطمع والاستبداد ونسيان الدين الحقيقي

تاريخ السكر وصناعته

﴿ تاريخ استعمال السكر ﴾ السكر كلمة هندية معناها المحبب اي الجسم ذا الحب واصله من الهند والصين . اما ناقله من الهند الى اوربا وآسيا فهو احد قواد اسكندر المكدوني وقد عاد به من تلك البلاد في عام ٣٢٥ قبل الميلاد المسيحي ولم يكن معروفاً قبله . وكان اليونان يسمونه « عسل القصب » او « الملح الهندي » وكان نادراً في بدء امره وغالي الثمن جداً فلم يكن يبتاعه احد غير الاغنياء . وبعد موت الاسكندر زرع قصب السكر في بلاد العرب فاخذه الرومانيون منها ولكنهم كانوا يفضلون السكر الهندي على السكر العربي كما روى مؤرخهم بلينيوس